بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

فيمكننى أن أحدد النطاق الجغرافى الذى ستمتد إليه دراستى تحديدًا واضحًا بأنه يشمل المناطق الخصبة السهلة الواقعة بين نهرى سَيْحَون – سِرْ دِرْيَا حاليا – وجَيْحَون – أَمُّوْ دِرْيَا حاليا – اللذين يصبان فى بحيرة خوارزم – بحر أورال حاليا والشاطئ الأيسر لنهر سَيْحَون، ويشتمل: طَخَارِسَتان والخُتَّل – وهذه البلاد أطلق عليها المسلمون قديما بلاد ما وراء النهر وتعرف حاليًا بدول آسيا الوسطى، وإن كانت جمهورية أوزبكستان المستقلة عن الاتحاد السوفيتى – السابق – فى ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤م (١٣٤٣هـ) تشغل الحيز الأكبر منها.

وقد تطلع المسلمون لفتح هذه البلاد منذ وقت مبكر، حيث قام عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان (٢٨ – ٦٧هـ/ ٦٤٨ – ٦٨٦م) فى عام (٥٣هـ/ ٦٧٣م) بغزو بخارى. فكان أول من غزاها؛ كما يقول المؤرخون. وفى عام (٥٦هـ/ ٦٧٦م) تولى سعيد بن عثمان بن عفان حكم خراسان من قِبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان (٤١ – ٦٠هـ/ ٦٦١ – ٦٨٠م)، فغزا بخارى وسمرقند. واستمرت حملات المسلمين على هذه البلاد حتى تولى القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلى (٤٦ – ٩٦هـ/ ٦٦٩ – ٧١٥م) حكم خراسان فى خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦هـ/ ٦٨٤ – ٧٠٥م)، ونجح فى فتح هذه البلاد بصورة نهائية؛ وعمل على تثبيت أقدام المسلمين هناك.

هذا، وبعد أن نجحت الدولة الأموية (٤١ – ١٣٢ هـ/ ٦٦١ – ٥٠م) فى فتح هذه البلاد، عملت على انتشار الإسلام بين سكانها؛ ثم مكنوا لهذه الحركة الإسلامية العميقة من أن تمضى فى سبيل نجاحها ليكتسب إقليم ما وراء النهر فى مستهل القرن الثالث الهجرى طابعًا إسلاميًا واضحًا. بالإضافة لنشر الأمن فى ربوع تلك البلاد، مما ساعد على إعلاء شأن الحكم الإسلامى فى نظر سكان أهل هذه المناطق، وساعد فى نفس الوقت على التمكين للحركة الإسلامية من أن تمضى فى طريقها حتى أثمرت هذه البلاد خيرة علماء الإسلام.

ترجع أهمية هذه الدراسة لعدة اعتبارات هامة؛ وهى:

أولا: ليس غرضى من هذا البحث أن أضيف بحثًا أخر فى تاريخ الدولة الإسلامية إلى ما هو موجود منها من قبل – وهو كثير – وإنما الغرض الذى أبتغيه أكثر تواضعًا، وأضيق نطاقًا. فلدينا بحوث شاملة وقيمة فى تاريخ بلاد ما وراء النهر فى ظل الدولة الأموية. وقد بُذلت فيها جهود قيمة وموفقة. ومع ذلك فليس لدينا مُؤَلفٌ واحدٌ أو رسالة مفردة عرضت لدراسة الحياة السياسية، والاقتصادية، والدينية فى بلاد ما وراء النهر قبيل الفتح الإسلامى، ومعالجة فى نفس الوقت لمراحل الفتح الإسلامى لهذه البلاد. نعم توجد بحوث قيمة عرضت لبعض الأحداث السياسية فى هذه المناطق، ومع ذلك فمعظم هذه المؤلفات – ومنها على سبيل المثال: المؤَلف القيم للمستشرق الروسى بارتولد والذى يحمل عنوان: «تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى»، و كتاب المستشرق الإنجليزى «جب»، و الذى جاء بعنوان: "The - Arab Conquests in centeral Asia The Rayal Asiatic Society".

كتبت من وجهة نظر الاستشراق؛ وفيها من التضليل و الكذب الكثير والكثير، فهى تصور الفاتحين المسلمين فى صورة الهمج الرعاع الذين ما أخرجهم إلا الجوع والحاجه؛ لذا فإن غزواتهم كما يقولون كانت تقوم على القتل والسلب والنهب، مع ترويع المواطنين لإجبارهم على الدخول فى الإسلام. وهذا كذب وافتراء على تاريخنا وحضارتنا. وهذا البحث هو محاولة للرد على هؤلاء المستشرقين، بالأدلة العلمية والوثائق التاريخية القاطعة. وإنى واثق تمامًا أنه أبعد ما يكون عن أن يفى بالمراد فالمهمة كانت شاقة ومعقدة، والمادة مبعثرة فى بطون المصادر، ولكنها مجرد محاولة قابلة للخطأ و الصواب.

ثانيا: إلقاء الضوء على جهود المسلمين الأوائل، وتحملهم الصعاب والمشاق فى سبيل نشر الإسلام فى بلاد ما وراء النهر، والتذكير بدورهم البارز فى هذا المجال، وبأنهم استطاعوا أن يتركوا بصماتهم فى تاريخ هذه البلاد، وأن يؤثروا فى حياتها السياسية والاقتصادية والدينية بل والعلمية أيضا.

ثالثا: الرغبة فى ربط الماضى بالحاضر، وتذكير الشعب الأوزبكى بتاريخه الإسلامى المجيد، السابق على الحكم الروسى البغيض.

رابعا: إن نظرة المؤرخين المحدثين للتاريخ تختلف عمن سبقهم من قدماء المؤرخين، فالتاريخ فى نظرهم ليس مجرد سرد للحوادث السياسية، أو تصوير للوقائع الحربية، أو ذكر لسير الخلفاء والملوك، وإنما هى نظرة تتجه إلى دراسة الأسباب والنتائج. حتى يمكن أن يكون للتاريخ فائدة يمكن الاستفادة منها فى الحاضر والمستقبل «فالتاريخ شعاع من الماضى يضىء لنا الحاضر والمستقبل». ومن هذا المنطلق آثرت

دراسة الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر، دراسة مستقلة تكشف عن أثرها على مختلف جوانب الحياة السياسية والدينية فى هذه البلاد إبان ذلك العصر.

خامسًا وأخيرا: هذا هو الكتاب الأول من سلسلة دراسات فى تاريخ بلاد ما وراء النهر، وهو يتضمن أحوال هذه البلاد من قبيل الفتح الإسلامى وحتى نهاية الدولة الأموية. والكتاب الثانى: يتحدث عن الحياة السياسية والاقتصادية والدينية فى بلاد ما وراء النهر من قيام الدولة العباسية وحتى نهاية القرن الرابع الهجرى. والكتاب الثالث: يتحدث عن الحياة العلمية فى بلاد ما وراء النهر من الفتح الإسلامى وحتى نهاية القرن الرابع الهجرى. والكتاب الرابع: يتحدث عن العلاقات الثقافية بين مصر وبلاد ما وراء النهر من الفتح الإسلامى و حتى القرن الرابع الهجرى. وبهذا تكون قد اكتملت دراسة هذا الإقليم. والله عز و جل أسال القبول والتوفيق.

تقسيم الكتاب:

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة والملاحق. ففى الفصل الأول: ألقيت الضوء على العرض الجغرافى لبلاد ما وراء النهر، وحاولت أن أرسم صورة جغرافية تقريبية لهذه البلاد، مع التركيز على أهمية نهرى جيحون وسيحون، مستشهدا بمصادرنا الجغرافية. وذلك من أجل الوقوف على طبيعة الأرض التى كانت مسرحا للفتوحات الإسلامية، ولكى نعلم قدر المعاناة التى تحملها الفاتحون الأوائل فى سبيل نشر الإسلام فى هذه السهول الوعرة.

أما الفصل الثانى: فهو يحمل عنوان «أحوال بلاد ما وراء النهر قبيل الفتح الإسلامى» وقد تناولت فيه دراسة الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية لبلاد ما وراء النهر قبيل الفتح الإسلامى. وأما الفصل الثالث: فقد خصصته للحديث عن «الفتح الإسلامى لخراسان وبلاد ما وراء النهر» فتحدثت عن فتح إقليم خراسان، وكيف أصبح قاعدة تنطلق منها الفتوحات الإسلامية لفتح بلاد ما وراء النهر. ثم تتبعت مراحل الفتح الإسلامى لهذه البلاد بالتفصيل، مناقشا آراء المؤرخين المختلفة، مرجحا ما رأيته الأقرب للصواب، رادا على آراء المستشرقين المختلفة ،والتى لم تثبت بالأدلة التاريخية والعلمية.

وانتهت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التى أسفر عنها البحث وأعقبتها بملاحق تخدم البحث فى كافة جوانبه.

وفى الختام، أرجو أن أكون قد وفقت فى عرض هذا الموضوع بصورة تخدم البحث التاريخى، وتذكرنا بتاريخ أمتنا المجيد. وهو عمل أعترف بأننى لم أصل فيه إلى مرتبة الكمال، فهو عمل بشرى قابل للصواب والخطأ، وحسبى أنى اجتهدت فإن كنت أخطأت فلابد أن أمتثل لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

د/ محمود محمد خلف